الشيطان على كل ما ليس له ولم يرد به وجهه ، ولا هو طاعة له وجعل ذلك إقطاعه فهو يستثيب النفس الأمارة على هذا العمل والاقطاع ، ويتغاضى أن تأخذ الأعمال من النفس المطمئنة فتجعلها قوة لها ، فهى أحرص شيء على تخليص الأعمال كلها وأن تقيد من حظوظها ، فأصعب شيء على النفس المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان ومن الأمارة لله ، فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغى لنجا به العبد ولكن أبت الأمارة والشيطان أن يدعا لها عملا واحدا يصل إلى الله .

كما قال بعض العارفين بالله : والله لو أعلم أن لى عملا واحدا وصل إلى الله لكنت أفرح بالموت من الغائب يقدم على أهله .

قال عبدالله بن عمر : لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة واحدة ، لم يكن غائب أحب إلى من الموت إنما يتقبل الله من المتقين .

النفس الأمارة فى مواجهة النفس المطمئنة

وقد انتصبت الأمارة فى مقابلة المطمئنة ، فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها ، فإذا جاءت بالإيمان والتوحيد . جاءت هذه بما يقدح فى الإيمان من الشك والنفاق ، وما يقدح فى التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه ولا يرضى حتى يقدم محبة غيره وخوفه ورجائه ، فيكون ماله عندها هو المؤخر ، وما للخلق هو المقدم ، وهذا حال أكثر هذا الخلق . وإذا جاءت تلك بتجريد المتابعة للرسول جاءت هذه بتحكيم آراء الرجال وأقوالهم على الوحى ، وأتت من الشبه المضلة بما يمنعها من كمال المتابعة وتحكم السنة ، وعدم الالتفات إلى آراء الرجال ، فتقوم الحرب بين هاتين النفسين ، والمنصور من نصره الله ، وإذا جاءت تلك بالإخلاص والصدق والتوكل والإنابة